

تاريخ الفلسفة جون ديوي 65 بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

،قبل أن نتطرق إلى جون ديوي، دعوني أوجز ما كنا نتحدث عنه بخصوص البراغماتية الأمريكية عمومًا، وويليام جيمس خصوصًا. لاحظنا بعض أوجه التشابه بين فلسفة وايتهد العملية ونوع البراغماتية عند جيمس. وسنجد المزيد من ذلك عند جون ديوي

لكن أوجه التشابه تكمن في رفضهم لديكارت والمذهب التأسيسي، وفي اهتمامهم بأولوية التجربة الملموسة على أي رؤية اصطناعية مجردة لماهية التجربة، كما هو الحال عند جون لوك. النموذج العضوي، حيث تتداخل الأحداث الفردية لتشكّل عملية متكاملة، هو ما أراه قاسمًا مشتركًا بين البراغماتية ووايتهد. أما الاختلاف الجوهرى بين هذين المذهبين فيكمن في النزعة الطبيعية المنهجية لدى البراغماتيين

،بدأ تشارلز ساندرز بيرس هذا المفهوم، ولعلكم تتذكرون المنشور الذي وزعه وتصوره عن تثبيت المعتقد ولكنه واضحٌ أيضاً عند ويليام جيمس حين يتحدث عن البراغماتية كمنهج لحل الخلافات الفلسفية. كيف؟ ببساطة، من خلال التحقق من النتائج التجريبية للنظرية. هل تتحقق هذه النتائج؟ إنه بمثابة تأكيد تجريبي للفرضية، وهو مفهوم المنهج العلمي الذي تبناه بيرس

إذن، يُدخل جيمس هذا المفهوم في الفلسفة. وهذا يعني أن الفلسفة ستقتصر على ما له أهمية في التجربة. "الملموسة، وعلى ما له نتائج عملية. وقد نشر جيمس كتابًا بعنوان "التجريبية الراديكالية"

التجريبية الراديكالية. الفكرة هي أن جون لوك لم يكن راديكاليًا بما فيه الكفاية. وفي التجريبية الراديكالية، كما ترى، فهو يعمل بنظرية براغماتية للمعنى

الخلافات الجوهرية الوحيدة هي تلك التي لها تبعات عملية. هذه هي النظرية البراغماتية للمعنى. ولذلك يرفض مناقشة أي قضية تتعلق بالركيزة أو الجوهر، أو العقل، أو المادة، وما إلى ذلك

لا علاقة للأمر بالتجربة، ولا يُحدث فرقًا. وبالمثل، يرفض الخوض في نقاشات حول المذهب الميتافيزيقي التقليدي مقابل التعددية الميتافيزيقية، والمادية مقابل المثالية. ويبدأ المرء بالتساؤل عما إذا كان يتم التخلي عن كامل نطاق القضايا النظرية في الفلسفة

حسناً، الأمر يتعلق بهذا النوع من النظريات، نظرية المعنى التجريبية الراديكالية، والتي أعتقد أنها كانت أساس التعليق الذي ذكرته لكم في المرة الماضية من أحد أساتذتي في الدراسات العليا أثناء تقديمه لندوة، حيث قال إنه يرى أن البراغماتية والوضعية وجهان لعملة واحدة، وكلاهما طريق مسدود. فلكل منهما نظرية للمعنى النظرية البراغماتية ثم النظرية الوضعية التي سنها لاحقاً، والتي تقصر ما هو ذو دلالة ذهنية ومعرفية على ما له نتائج تجريبية محددة قابلة للتحقق. وهنا في كتاب جيمس، نجد البراغماتية الراديكالية

عند الوضعيين، يُطلق آير على هذا اسم "إلغاء الميتافيزيقا". ستقرأ فصل آير الذي يحمل هذا العنوان عندما نتناول الوضعية. ثم يذكر جيمس هذه الملاحظة

،"يظهر هذا الميل إلى البحث عن نتائج تجريبية، والتحقق من خلالها، في مقال له بعنوان "إرادة الإيمان" والذي يُرجّح أن تقرأه في كتاب "فلسفة الدين"، على سبيل المثال. ما يفعله جيمس هو الرد على مقال سابق للكاتب دبليو كي كليفورد بعنوان "أخلاقيات الإيمان"، حيث جادل كليفورد بأنه إذا لم يكن هناك دليل كافٍ

يدعم وجهة نظر على أخرى، أي حجة قوية، فمن غير المسؤول أخلاقياً اتخاذ قرار .ينبغي التريث في إصدار الأحكام.

هذا هو المبدأ القديم لجون لوك القائم على الأدلة، كما ترى .عليك أن تُوازن بين اعتقادك والأدلة .وإذا لم يكن هناك دليل أقوى على أحد الأمرين من الآخر، فهذا أمرٌ ذو دلالة، لذا امتنع عن الموافقة

أجاب ويليام جيمس في كتابه "إرادة الإيمان" بأن الامتناع عن الموافقة ليس ممكناً دائماً .فهناك خيارات وقرارات مصيرية تُفرض علينا في واقع الحياة .تجربة ملموسة

،إذن، في غياب هذا المطلب القائم على الأدلة، كيف ستتخذ قرارك؟ أترى ؟ ويقصد جيمس أن تسأل نفسك من حيث عواقب الاعتقادين، على التجربة الملموسة، والتي تعني، بالنسبة له، بخلفيته النفسية، على سلامتك النفسية .أترى ؟ فإذا كان أحد الاعتقادين يعدك بفائدة نفسية أكبر من الآخر، فهذا سبب كافٍ لممارسة إرادة الإيمان .أترى ؟ الموافقة الطوعية

لقد صمدت تلك المقالة، وظلت تُعتبر من أبرز الردود على مطلب جون لوك القائم على الأدلة .أترى ؟ أما الأمر الآخر، في رأيي، فهو نابع من تأثير الواقعية الاسكتلندية على معاصرنا مثل ألفين بلانتينغا، الذي يقول لمطلب الأدلة :لا أرى أي سبب يدعو إلى تصديق ذلك .بعبارة أخرى، أين الدليل على مطلب الأدلة؟ لا شيء

لأنه يحاول أن يقول إن هناك معتقدات معينة تأتي بشكل طبيعي وتلقائي، لدرجة أنه ليس لدينا خيار سوى كبح جماحها .لذا، يا ويليام جيمس، في تلك المقالة، ترى منهجه مطبقاً .لديه مقالة أخرى يتحدث فيها عن الفلاسفة ذوي العقول القوية والحساسة

الاختلافات النفسية، كما ترى .لذا، إذا كانت هذه الاختلافات تُعادل القيمة النقدية لتجربة ملموسة، فهي نفسية .ولذلك يعتقد أن الفلاسفة ذوي العقول المتشددة سيؤمنون ببعض الأمور

سيؤمنون المذهب التجريبي وما إلى ذلك، والحتمية وما إلى ذلك .أما الفلاسفة ذوو القلوب الرقيقة فسيؤمنون بأمور أخرى .السياق الشخصي الكامل للمعتقد

مع أن هذا يبدو وكأنه نسبيٌ للغاية ، إلا أن الحقيقة هي أنه إذا نظرنا إلى سيكولوجية المعتقد، فإن طبيعة الشخصية تؤثر فيه .أتساءل إن كان نقد كانط الهائل، الذي أعجب به بعضكم، قد كتبه أحد الهيبيين من كاليفورنيا .في الواقع، كان ذلك من تأليف أعزب بروسي، كانت حياته منظمة لدرجة أن الجيران كانوا يضبطون ساعاتهم على وقت ذهابه إلى جامعته

وأسلوب الحياة الهادئ في كاليفورنيا لا يُنتج عادةً هذا النوع من العمل .حسناً، من سيحضر ندوة كانط العام المقبل مع صديقي ستو هاكيت سيرى أوجه تشابه بين تكوينه النفسي ونقد فوريين .يا عزيزي ستو، إنه منظم للغاية

بكل دقة وعناية، عندما ذهب إلى الهند لدراسة الفلسفة الهندوسية قبل بضع سنوات، كاد أن يصاب بانهيار عصبي بسبب الفوضى العارمة التي كانت تعمّ المكان .إن العلاقة بين علم النفس والشخصية أمرٌ مثيّرٌ للاهتمام .وبالطبع، إذا أردت التغلب على هذا الاعتماد النفسي، فأنت بحاجة إلى بعض المراجع الأكثر شمولية

أنت تريد أن تعرف ما هي الطبيعة البشرية العامة ، بدلاً من معرفة هذا النوع تحديداً .تذكر أن عكس النسبي هو العالمي .وهناك عوامل كثيرة جداً تؤثر على معتقدات الإنسان وأفكاره

بعضها غريب الأطوار، وأنواع شخصية مختلفة. وبعضها ثقافي. وبعضها بشري بشكل عام، كما ترى

وللانتقال من النسبي إلى الكلي، لا بد من فهم الإنسان بشكل عام، وما يتوافق معه، وما هو طبيعي فيه، وهو ما أظن أنه ما كان أوغسطينوس يفعله حين قال عن القلب المضطرب حتى، كما ترى، يعتقد أن هذا هو حاله. ستجد أوجه تشابه بين هذا وبين الوجودية، وبعض أنواعها أيضاً. إن أولوية العملي، كما ترى، تشمل الذاتية الإنسانية، الإنسان بكامله، جوهرنا الداخلي، بالإضافة إلى مراعاة العوامل الموضوعية

ويتضح ذلك جلياً في جيمس تحديداً. حسناً، ربما هذا يكفي لتوضيح ما يفعله جيمس. هل من تعليقات، أم أننا مستعدون للمفاجأة الكبرى؟ ديوي

حسناً. يبدو ديوي حديثاً نسبياً عندما أقول إنه ولد عام 1859 وتوفي عام 1952. أعتقد أنه أول من تجاوزنا منتصف القرن العشرين، أي عام 1952

لا يُمثل ديوي البراغماتية فحسب، وهي في جوهرها منهجٌ للتعامل مع المسائل الفلسفية وغيرها، بل يُمثل أيضاً ما أحب أن أسميه النزعة الطبيعية التطورية. أي أنه فلسفي طبيعي، فكل شيء قابل للتفسير من خلال العمليات الفيزيائية

لكن النزعة الطبيعية التي يتبناها متأثرةٌ إلى حدٍ كبير بنظرية داروين في الانتخاب الطبيعي. هذه النزعة الطبيعية التطورية التي يتبناها هي خطوةٌ من المثالية التطورية التي بدأ بها فلسفته، المثالية التطورية، بمفهومها عن العملية التاريخية التي تتكشف إلى أشكالٍ أكثر تعقيداً للحياة، المادية والاجتماعية والثقافية، وصولاً إلى تجربةٍ أكثر واقعية. والآن، في هذه النزعة الطبيعية التطورية، تجد هذه المفاهيم الأساسية الثلاثة، والتي أعتقد أنها ستساعدك على فهم ما يفعله بسرعةٍ في مختلف المواضيع التي يتناولها في كتاباته الفلسفية

وبالطبع، يتناولها جميعها بشكل جيد. يتناولها جميعها في كتابه "العدالة في إعادة البناء"، الكتاب الذي تقرأه الآن. إن مفهومه للتجربة، أولاً وقبل كل شيء، أقرب بكثير إلى المفهوم الذي تجده عند وايتهيد وجيمس منه إلى مفهوم التجربة عند جون لوك

، إذن، وايتهيد وجيمس وديوي متشابهون إلى حد ما. فالتجربة تشمل التجربة الوجدانية، والنفسية والعاطفية. وهذا ما كان عليه الحال مع وايتهيد وجيمس

لكنها تشمل أيضاً التجارب الاجتماعية والثقافية. وبينما تقرأ كتابه، قد تتساءل عما إذا كان متأثراً بكتاب علم اجتماع المعرفة، لأنه يتحدث عن جميع التأثيرات الاجتماعية والثقافية في تشكيل الفلسفة. في الواقع، إذا كان وايتهيد يتحدث عن تأثير العلوم الطبيعية على الفلسفة، فإن ديوي يتحدث عن تأثير التغيير الاجتماعي عليها

وأياً كان ما تفكر فيه، لاحظ مدى اختلافه الشاسع عن غرفة ديكارت المُدفاة بموقد، حيث لا توجد أي مؤثرات خارجية. تصبح الغرفة المُدفاة بموقد رمزاً لأشياء كثيرة. الفرد المنعزل وخصوصية عقله، الذي يحجب كل تأثير خارجي، تاريخي أو غيره

هذا تجريبٌ من الحياة. حسناً، إذن، التجربة الملموسة أمرٌ واسعٌ جداً. إنه يتحدث عن تجربةٍ سائلة

تجربة انسيابية. كأنها عملية متدفقة باستمرار بالكاد تشعر بها، فهي في غاية الانسيابية. أتذكر حين قرأت ديوي لأول مرة وصادفتُ مفهوم التجربة الانسيابية، كنتُ أملك سيارة دودج موديل 1946، مزودة بما كان يُسمى آنذاك بنظام الدفع الانسيابي

ما هو نظام نقل الحركة السائل؟ حسناً، لست متأكداً تماماً، لكنني أعتقد أنه كان خطوة نحو ناقل الحركة الأوتوماتيكي، لأن التغيير كان أكثر سلاسة لدرجة أنك بالكاد تشعر بتغيير التروس، مع أنك ما زلت تُغيرها يدوياً. نظام نقل الحركة السائل. بالكاد تشعر بالانتقال من لحظة إلى أخرى أو من موقف إلى آخر

أحدهما ينساب إلى الآخر. دافع انسيابي. تجربة انسيابية لديوي

لكن التجربة السلسة، التي هي في الحقيقة مجرد نتاج للعادة والسلوكيات والاستجابات المعتادة، تتعطل بسبب ما يسميه ديوي "مواقف إشكالية". "المواقف الإشكالية. والمواقف الإشكالية وحدها هي التي تحفز التفكير.

كما ترى، يكمن دور الذكاء والفطنة في حلّ المشكلات. وإلا، ستسير الأمور بشكل اعتيادي دون تفكير. هل تفكر فيما فعله أثناء القيادة؟ أم أنك تفكر فقط فيما يجب فعله عند مواجهة مشكلة؟ أتذكر قيادتي في سياتل.

وإذا سبق لك القيادة في سياتل، فأنت تعلم أن هناك تلالاً شديدة الانحدار مع إشارات توقف في أعلاها. يكاد الأمر يكون سيئاً مثل القيادة في بعض أجزاء سان فرانسيسكو. لا شك أنك رأيت صور التل الذي يدور ويدور .

كما تعلم، هناك طرقٌ تصعدُ مباشرةً وعليها إشاراتُ توقف. كيف تتصرف عادةً في مثل هذه المواقف إذا نشأت على القيادة في أرضٍ منبسطةٍ كهذه؟ إنها مشكلة. تفكر في عدة بدائل، ثم يمكنك فعل ما أفعله في مثل هذه المواقف من حين لآخر، وهو سحب فرامل اليد، ثم الضغط على دواسة القابض وتغيير التروس

ثم حرر فرامل الطوارئ تدريجياً، على أمل أن تضغط على دواسة الوقود بقوة كافية لتجاوز القمة. الفكرة هي أن التجربة السلسة تتعطل بسبب مواقف إشكالية تتطلب التفكير. فتتوصل إلى أفكار

أعرف ما سأفعله. هيا، لنجرب ذلك. وهكذا يكون التفكير تجريبياً

أنت تفكر، وتجرب الأفكار لحل المشكلات. الآن، إذا كنت تحب البحث عن المواقف الجدلية، فإن أي مشكلة هي موقف جدلي. هناك أطروحة، ونقيضها، وتوليفها

الفكرة الأساسية هي التجربة المتدفقة التي يقطعها نقيضها في موقف إشكالي، أو موقف مُهدد. الفكرة الأساسية، ونقيضها. وما تبحث عنه عند التوصل إلى الفكرة الصحيحة هو توليفة تمكنك من استيعاب فكرة نقيضها والانتقال إلى الفكرة التالية

تُصبح هذه التركيبة بمثابة أطروحة لما يليها. إذن، الجدلية حاضرة هنا. حسناً، الذكاء إذن هو حل المشكلات في سياق الخبرة الاعتيادية، وهو ما يقود إلى علم النفس الوظيفي

الوظيفي، ببساطة، هو نظرية ترى أن جميع عملياتنا العقلية والنفسية ما هي إلا وظائف لاحتياجات جسدية أو بيولوجية. لذا، فإن رغباتنا هي وظائف بيولوجية لكائن حي يسعى للتكيف مع بيئته، محاولاً الاستجابة لعوامل بيئية. أما العقل، فهو وظيفة للكائن الحي المتطور، تعكس كيفية التكيف مع البيئة

وأحياناً يكون هذا السبب مرتبطاً بتعديل الرغبات في ضوء ما تكتشفه عن المشكلة. لا داعي للقلق، كل شيء سيكون على ما يرام

انظر وانظر وانظر وانظر إلى ذلك. والنمو ليس حركة ثابتة نحو هدف محدد، بل هو عملية تطويرية مستمرة تُدمج فيها تجارب متنوعة في التجربة المستمرة، وهي الذات. علم النفس الوظيفي

ويمكنك الاطلاع على شيء من ذلك في الصفحات من 83 إلى 86، على سبيل المثال، الصفحتين الخامسة والسادسة في البداية، حيث يصر على أننا مخلوقات رغبة أكثر من كوننا مخلوقات عقل، بشكل أساسي. علم النفس الوظيفي. حسناً، وهنا تبدأ في رؤية ما يكمن وراء كل هذا، مفهوم التجربة وعلم النفس، ونظريته في الانتقاء الطبيعي.

ستجد في الفصل الثالث أنه يرفض صراحةً أي ثبات للأنواع، لأنه يُدرك أن النظرة التقليدية لثبات الأنواع ليست سوى امتدادٍ لمفهوم أرسطو عن الصور الثابتة والجواهر الثابتة. وأعتقد، بصراحة، أنه مُحِقٌّ في أن ثبات الأنواع ليس إلا استمراراً لتقليد أرسطو. فهو يرفض أي كليات حقيقية، ويرفضه للكليات الحقيقية. يرفض الغايات الذاتية الثابتة.

تالوس. لا توجد غايات ثابتة نسعى لتحقيقها في الأخلاق أو أي شيء آخر. لا توجد قوانين ثابتة للفكر.

إن طريقة تفكيرنا ليست سوى أداة للتكيف مع عالم متغير، وقد نشأت قوانين الفكر كأدوات أثبتت نجاحها في هذا التكيف. لذا، فإن قصده هو أن الفلسفة ليست نظرية بحتة، بل تنشأ في سياق عملي.

إنها تصب في سياق عملي. فالتجربة الملموسة هي أساسها بالكامل، وليست مجرد نظرية من أجل النظرية. حسناً، أعتقد أن هذه المفاهيم الثلاثة تلخص ما يمكن تسميته، إن شئت، بالجواهر النظري لفكر ديوي.

يجب أن أكون حذراً في استخدام مصطلح "نظري" عند الحديث عن ديوي، لكن جوهر فكره النظري يكمن في هذه الفرضية الكبرى التي تُؤدِّد فرضيات فرعية في مجالات المعرفة وفلسفة العقل وغيرها، والتي يعتقد ديوي بوجود تأكيد تجريبي لها. تطبيقات.

حسناً. لنستعرض هذه الأمور. يمكننا القيام بذلك بسرعة.

لقد ذكرتُ سابقاً أنه يتحدث عن التفكير التجريبي، ولا داعي لتكرار السبب. إنه ببساطة تطبيق المنهج العلمي على كل شيء. ولذا، فهو يتحدث عن إضفاء الطابع الطبيعي على نظرية المعرفة.

في الواقع، حتى يومنا هذا، لا بد أنك اطلعت على كتب ومقالات فلسفية تتناول نظرية المعرفة الطبيعية وفكرة إضفاء الطابع الطبيعي على نظرية المعرفة بدأت فعلياً مع ديوي. فهو يسعى إلى نظرية معرفة لا تفرض علينا كيفية المعرفة، بل تصف طبيعة البحث، إن صح التعبير، في بيئته الطبيعية، أي المتطلبات العملية للتجربة الملموسة. نظرية المعرفة الطبيعية تعني أن نظرية المعرفة ستكون وصفية لكيفية عمل البحث وفقاً لنظرية الانتقاء الطبيعي.

إذن، فإن الجانب التطوري يُؤثر في عمله. وبناءً على ذلك، فهو يتبنى النظرة العملية للمفاهيم العلمية بشكلٍ صريح. في عام ١٩٢٥، نشر بيرسي بريدجمان، الفيزيائي بجامعة هارفارد، كتاباً بعنوان "منطق الفيزياء"، طوّر فيه النظرة العملية، والتي أعتقد أن آخرين ألمحوا إليها سابقاً، لكن بريدجمان هو من طوّرها بشكلٍ منهجي. ثم تبناها ديوي.

إذن، المنهج العملي هو ببساطة وجهة النظر القائلة بأن معنى المفهوم النظري في العلم يرتبط بما يمكن ملاحظته تجريبياً عند إجراء عمليات معينة. إنه معنى عملي، تعريف عملي، تعريف عملي. نعم، نجد

باستمرار، عند الحديث عن كيفية القيام بالأمر، كيف ينبغي لنا القيام بها، أن الناس يطرحون نظريات ومقترحات، ونظريات تربوية، وأفكاراً منهجية، والسؤال هو: كيف يمكن تطبيقها عملياً؟ وينطبق الأمر نفسه على السياسة العامة.

قد يطرح أحد المرشحين فكرة رائعة، ثم يسأله أحدهم: كيف ستطبقها عملياً؟ هنا، نرى نظرية المعنى البراغماتية لويليام جيمس، فإذا أردت معرفة معنى مفهوم نظري، تسأل عن نتائج العملية، ماذا يحدث عند تطبيقه عملياً؟ إذن، التطبيقية هي ببساطة تطبيق لنظرية المعنى البراغماتية على فلسفة العلوم. المثال الذي يعجبني هو من علم المعادن، حيث يُفترض أن مقياس مور للصلابة، أي مقياس صلابة المعادن، يُخبرنا عن صلابة المعادن، أو على الأقل الصلابة النسبية لمعدن مقارنةً بآخر. هذا كل ما يُخبرنا به.

لماذا؟ لأنّ عملية استخدام مقياس مور للصلابة تقوم على فرك معدنين ببعضهما، والمعدن الذي يترك أثراً . يكون، بحكم التعريف، أصلب من المعدن الذي يُخدش. إذن، ما هي الصلابة؟ هي قابلية الخدش النسبية. هذا تعريف عملي للصلابة.

لا يُخبرك هذا ما تفعله الصلابة. لا، تراجع عن كلامك. إنه لا يُخبرك ما هي الصلابة.

لا علاقة للأمر إطلاقاً بجوهر الصلابة. بل يتعلق الأمر بنوع الصلابة. يحدث ذلك عند القيام بعملية معينة. لذا، فإن المذهب العملي موجود في فلسفة العلوم، وهذا يشبه بوضوح النظرة الأداة للعلم.

الزعة الأداة هي وجهة النظر القائلة بأن العلم لا يُخبرنا عن طبيعة الواقع، بل يُزودنا بمعرفة مفيدة يمكننا استخدامها في مزيد من البحث أو لتطوير تطبيقات علمية. والآن، أسأل طلاب العلوم عن سبب اختيارهم لهذا التخصص، ولماذا سيختارون العمل في المجال العلمي.

ستجد الكثير منهم يقولون "حسناً، بسبب ما يمكنني فعله بها". ليس الأمر مجرد كسب لقمة العيش، بل ممارسة الطب، والهندسة، والعمل البيئي، وما إلى ذلك. العلوم التطبيقية.

أما الزعة الأداة فتقول إن هذا هو جوهر العلم. فالنظريات العلمية لا ينبغي اعتبارها دليلاً على طبيعة الواقع، بل هي مجرد أدوات مفيدة لما نسميه العلوم التطبيقية.

الآن، أنت تتطرق إلى مسألة العلاقة بين النظرية والتطبيق. النظرية والتطبيق. من خلال الطريقة التي يتحدث بها البعض عن التعليم الليبرالي، قد يظن المرء أن هذا التعليم ذو قيمة نفعية بحتة، لا يهتم بجوهر الأشياء الحقيقي، أو ماهية الإنسان، أو طبيعة الواقع.

لذا، يُنظر إلى الزعة الأداة على أنها شكل من أشكال اللاواقعية في العلم. فالواقعية العلمية هي الرأي القائل بأن العلم يُخبرنا عن الواقع، بينما اللاواقعية العلمية هي الرأي القائل بأن العلم لا يُخبرنا عن الواقع.

ويعدّ ديوي أحد أبرز المساهمين في مناهضة الواقعية العلمية، بهذا المعنى. لكن انتبه إلى أسبابه لذلك. فالمعرفة هي وظيفة الكائن الحي الذي يتكيف مع بيئته.

عند التأقلم مع بيئة مليئة بالمشاكل، لا تحتاج إلى معرفة جوهر الواقع، ولا إلى كم هائل من النظريات. كل ما تحتاجه هو بعض الأفكار حول كيفية حل المشكلة.

لذا، بدلاً من الحديث عن المنطق الصوري التقليدي، يتحدث عن المنطق التجريبي، منطق التفكير التجريبي. لديه كتاب بعنوان "المنطق"، يخلو من القياسات المنطقية. فالمنطق يدور حول التفكير التجريبي، كما ترى.

لديه كتاب صغير، بسيط للغاية، بعنوان "كيف نفكر"، يشرح فيه كيف نفكر بهذه الطريقة، بهذه الطريقة في حل المشكلات. حسناً، أنت تقود سيارتك على الطريق السريع. موقف مشكلة

هناك عربة زراعية تخرج من طريق جانبي أمامك إلى الطريق الرئيسي. ماذا ستفعل؟ تتبادر إلى ذهنك أفكارٌ عديدة. أولاً، خذ استراحة

،انحرف، الخيار الثاني. ابتعد عن الطريق تماماً، الخيار الثالث. ارفع يديك على أمل أن تنفتح الوسادة الهوائية، الخيار الرابع.

أعرف؟ في الوضع الطبيعي، ما إن تخطر تلك الأفكار ببالك حتى تبرز إحداها كخيارك الأمثل. لماذا؟ لأنك تستند إلى خبرة سابقة. نعم، لديك رصيد كبير من الخبرة المكتسبة من القيادة لفترة، كما ترى، من تجارب سابقة.

يمكنك تطبيق ذلك على هذه الحالة. لذا، ما عليك فعله هو الضغط بقوة على المكابح والانحراف والخروج من الطريق السريع دفعة واحدة. الآن، قد توجد بعض المواقف التي تتطلب منك تجربة هذه الأفكار

،ويروي قصة شخص ذاهب لإجراء مقابلة عمل. يمر الطريق عبر منطقة حرجية، ويعبر جسراً فوق جدول. ومن ثم إلى المدينة. يصل الرجل إلى الجسر ليجده معطلاً

.انتهى الأمر. لا يوجد جسر. ماذا سيفعل؟ إذا عاد أدراجه والتفّ حول الطريق، فسيتأخر عن مقابلة العمل

إذا شق طريقه عكس التيار على أمل العثور على جسر آخر، فهذا احتمال وارد. إنه يُجري تجارب ذهنية في هذا الشأن. لنرى، ما مدى بُعد ذلك الجسر الآخر هناك؟ كم سيستغرقني الوصول إليه، ثم العودة بعد عبوره؟ حسناً، لنُجر تجارب ذهنية

خيار آخر هو تجربة القفز الطويل فوق الجدول. ولكنه غير متأكد من نجاح هذه الطريقة، لذا يتدرب على القفز الطويل عدة مرات على جانب الجدول ليرى إلى أي مدى يمكنه الوصول. هل تعتقد أن هذا سينجح؟ حسناً، لنجرب على أي حال

والتأكيد التجريبي. ما هي الفكرة؟ كما ترى، أنت تتوصل إلى فكرة. ما هي الفكرة؟ إنها ليست تمثيلاً أو نسخةً ذات جودة ثانوية لشيء ذي جودة أولية

.لا. الفكرة مجرد فرضية. إنها خطة عمل، مؤقتة

وتستفيد من خبراتك السابقة، وتجربتها لترى إن كانت ستحل المشكلة. والفكرة الجيدة هي التي تنجح. كيف تجعلها ناجحة؟ بتطبيقها عملياً

ما معنى التحقق؟ التحقق هو جعل الشيء صحيحاً. أنت من تجعله صحيحاً. ولن يكون صحيحاً إلا عندما تصل إلى مقابلة العمل في الوقت المحدد، دون أن تتلطح ملابسك بالوحل

.إذن، التفكير التجريبي. هكذا يتحدث عن نظرية المعرفة. إنه يرفض اليقين لأغراض عملية

.يرفض جون لوك المذهب التجريبي القائم على الملاحظة. الصفحة البيضاء

استقبال الأفكار بشكل سلمي. هراء. إنه يرفض أي ثنائية بين الذات والموضوع، كما تعلم، حيث يكون العقل موجوداً هنا ليكتسب تمثيلات ذهنية لما هو موجود في الخارج

لا، إنه يرفض كل ذلك. لأنهم جميعاً يفصلون الفكر عن الفعل، والنظرية عن التطبيق

إن جدوى الفكرة هي المهمة. فالحقيقة ليست شيئاً موضوعياً ثابتاً إلى الأبد، مستقلاً عن الملاحظة. الحقيقة ببساطة هي جدوى الفكرة وقابليتها للتطبيق

حسناً، هذا هو تطبيق ذلك على نظرية المعرفة المنطقية. هل هذا واضح بما فيه الكفاية؟ هل فهمت الآن. سبب توجهه نحو هذا المسار؟ فلسفة العقل. حسناً، لا مزيد من الكلام بعد الإشارة إلى علم النفس الوظيفي

من الواضح أنه يرفض أي نظرية جوهرية للعقل أو الروح. فهو لا يرى، على الأقل، أي إشكالية بين العقل والجسد إذا لم يكن العقل كياناً منفصلاً. كل ما هو مستعد للحديث عنه فيما يتعلق بفلسفة العقل هو ما نسميه الوظائف العقلية المختلفة

كلمة "عقلي" صفة. بمعنى آخر، تشير كلمة "عقلي" إلى وظائف بيولوجية معينة تتضمن الوعي. نظرية القيم

هنا، لديه عدد من الكتابات المهمة. لديه كتاب مبكر نسبياً بعنوان "نظرية التقييم". ثم كتاب آخر بعنوان "الطبيعة البشرية والسلوك"

وهنا ينظر إلى القيم على أنها مجرد أفكار. القيم هي أفكار. بأي معنى؟ حسناً، القيم هي نتائج مثالية

النتائج المثالية التي تظهر في المواقف الإشكالية. بمعنى آخر، أنت لا تُقدّر تجنّب تلك العربة الزراعية إلا عندما ينشأ الموقف. حينها، أنت بحاجة، بيولوجياً، إلى تجنّبها

وينبع التقييم من الحاجة البيولوجية. لا يهتم ديوي بالقيمة بمعنى ما هو ذو قيمة جوهرية وأبدية، بل يهتم فقط بالقيمة بمعنى ما يتم تقييمه فعلياً

القيم هي ما يُقدّر. وأنت تُقدّر ما تُقدّره في المواقف الصعبة. وإلا فلن تُدرك ذلك

. بمعنى آخر، القيم هي أفكار تُفضي إلى أفكار أخرى حول حلّ المشكلة. لا توجد غايات جيدة في حد ذاتها

أتذكر كيف عرّف أرسطو الخير بأنه خيرٌ في ذاته؟ فالخير الأسمى يشمل جميع الخيارات الأخرى. إنه خيرٌ في ذاته، وليس خيراً من أجل غاية أخرى

حسناً، ما يُصّرّ عليه ديوي هو استمرارية الوسائل والغايات. بمعنى آخر، الغاية، أو المثال، تتضمن في حد ذاتها الوسائل المؤدية إليها. ولكن عندما تتحقق تلك الغاية، تذكر أنها تصبح أطروحة لنقيض جديد

، إذن، تلك الغاية بحد ذاتها ليست سوى وسيلة لتحقيق غايات أخرى. لا يوجد شيء يمثل غايةً بحد ذاته. غايةً جوهرية، غايةً ثابتة. عندما تصل إلى هناك، تكون قد وصلت، هذا كل ما في الأمر

إنها ليست دورة شهرية، بل هي عملية مستمرة. لذا لا توجد قواعد أخلاقية مطلقة

لا يوجد خير مطلق. تنشأ القيم مع الاحتياجات غير المُلبّاة. القيم أدوات للبقاء

ليست القيم، بمعنى جوهرية، خيارات أخلاقية. إنها خيارات غير أخلاقية. البقاء على قيد الحياة أمر غير أخلاقي

لا شيء. ومع ذلك، يصبح الأمر ذا قيمة كبيرة في بعض المواقف الإشكالية. إذن، تتعلق الأخلاق بكيفية حل المشكلات وتحقيق ما نرغب فيه

كيفية حل المشكلات وتحقيق ما نرغب فيه. هذا هو المذهب الأخلاقي النفعي. وهو يسميه كذلك، النفعية في الأخلاق

وكان عمل ديوي في الأخلاق أحد العوامل الرئيسية التي ساهمت في تطور أخلاقيات الموقف قبل عقدين أو ثلاثة عقود. وقد شاع هذا المفهوم بفضل كتاب يحمل نفس العنوان، من تأليف جوزيف فليتشر، وهو ليس له صلة بشخصية أخرى تحمل نفس الاسم والمعروفة هنا، جوزيف فليتشر في جامعة هارفارد

كتابٌ عن أخلاقيات المواقف. يؤكد الكتاب على ضرورة معالجة كل موقف أخلاقي على حدة، إذ لا توجد قواعد أخلاقية عامة

لا توجد مبادئ توجيهية ثابتة. مبادئ أخلاقية عالمية. يجب حل كل موقف بطريقة ترضي الأشخاص المعنيين .

أضف بعض العناصر الأخرى، لكن هذا هو العنصر العملي فيه. وهو واضح تمامًا، إنه أسلوب ديوي مع بعض الملاحظات الوجودية. لذا، هذه هي نظريته القيمية في تلك المرحلة

التعليم؟ نعم، في مجال التعليم، أنصحك بالاطلاع على كتابه "الديمقراطية والتعليم". "الديمقراطية والتعليم يرى أن وظيفة التعليم هي تعلم كيفية العيش

التعلم من أجل الحياة. أي أن التعليم يزودك بالأدوات اللازمة لحل المشكلات. لحل المشكلات

ليس الهدف من التعلّم أن يكون لديك أشياء تتأملها طوال حياتك. قراءة أفلاطون. ميلتون

مهما يكن. التعلّم ليس محاولة لغرس قيم ثابتة، بل هو إرث من قيم الماضي

لا، ليست هذه هي قيمة التعلّم. هذا هو التعليم التقليدي. أما التعليم فهو بالأحرى إعدادٌ للتكيف الناجح مع البيئة.

. يركز على حل المشكلات. يركز على الطالب. بدلاً من التركيز على الانضباط

أو ذات توجه تاريخي. أو ذات توجه فكري فحسب. حسناً

أعتقد أننا في التعليم الأمريكي، منذ عهد ديوي، طورنا مزيجًا من التقاليد الكلاسيكية وتأكيد على التعلم الذي يُكسب مهارات حياتية. ولأسباب ما، أعتقد، فإن نظرتنا للأمور تميل إلى استيعاب بعض اهتمامات ديوي دون التمسك بها كليًا. ما زلنا نعتمد على مرجعيات ثابتة

تطبيق ذلك على الدين. وهنا، يُطلق على كتابه المهم اسم "الوجه المشترك". "الوجه المشترك

إذا لم تكن هناك حقائق أو قيم ثابتة، فإن الدين ليس مجرد محاولة لنقل حقائق وقيم معينة. فما هو إذن؟ إنه ليس عن مُثُل جامدة. الدين هو أداة للتكيف مع الحياة

يتكرر هذا الموضوع نفسه في كل مكان. فهو لا يهتم كثيراً بدين أو أديانٍ مختلفة بقدر اهتمامه بصفة "متدين"، التي تشير إلى صفة، أو موقفٍ تجاه الحياة. الموقف الديني هو موقف ولاءٍ لمبادئ المجتمع"

الولاء لمبادئ المجتمع. لماذا؟ حسناً، هناك سببان. الأول هو أصل كلمة "دين"، والتي تعني إعادة الربط

أو إن شئت، فلنتحد من جديد. وهكذا، فإن للدين وظيفة تتمثل في إعادة توحيد الأفراد داخل المجتمع من خلال الولاء لبعض المُثُل المعنوية ذات الطابع التقليدي أو المتعارف عليه. ليس بالضرورة أي اثنين منها

بمعنى آخر، تكمن أهمية الدين في كونه وسيلة لتحقيق غاياته، لا في كونه حقيقة، بل في كونه وسيلة لتحقيق غاياته.

وفي هذا السياق، لا تُعدّ كلمة "الله" اسمًا لكائنٍ، بل هي رمزٌ للمُثُل التي يتبناها المجتمع. السعي إلى الله السعي إلى مُثُل المجتمع.

ويزعم أن هذا هو القاسم المشترك الأدنى بين جميع الأديان التاريخية. القاسم المشترك الأدنى بين جميع الأديان التاريخية. إنه لا يُشير إلى معتقدٍ بعينه، بل إلى موقفٍ بعينه

وفي نهاية المطاف، تُمارس الأديان كمجتمع، متحدين حول قضايا ذلك الإيمان. لذا، فإن ما يقوله ديوي عن الدين هو في الحقيقة جوهر الإنسانية الدينية

وكان ديوي أحد الموقعين الأوائل على البيان الإنساني، الذي أعلن في ثلاثينيات القرن العشرين أن الكون قائم بذاته، وأن الإنسان جزء من الطبيعة، وقد نشأ نتيجة عملية مستمرة. إن الثقافة الدينية للإنسان هي نتاج تطور تدريجي نتيجة تفاعله مع البيئة الطبيعية. ويرفض العلم أي ضمانات خارقة للطبيعة أو كونية للقيم الإنسانية.

تعتبر النزعة الإنسانية الدينية تحقيق الذات الإنسانية الكاملة، والرضا، وما إلى ذلك، غاية الحياة. وهكذا دواليك. ولديّ نسخ من ذلك البيان الإنساني، يمكنك أخذها عند المغادرة، وقراءتها كما تشاء

وثيقة مثيرة للاهتمام للغاية. إن النزعة الإنسانية العلمانية في السبعينيات والثمانينيات ليست سوى امتداد لاحق لها. أما النزعة الإنسانية الدينية فهي دين طبيعي

هل فهمت؟ الدين الطبيعي. حيث يُقصد بالله ما يقوله ديوي. أي أنه رمز للمُثُل العليا

، لا مزيد من ذلك. وغالبًا ما يكون هذا نزعة إنسانية طبيعية تجدها اليوم في الأوساط التوحيدية. تاريخيًا كانت التوحيدية نوعًا من أنواع الإيمان بالله

كما ترى، على عكس التثليث. لكن بشكل متزايد، فإن التوحيد وحركة الوحدة ليسا سوى نزعة إنسانية طبيعية، مع تبني قيم معينة

في الواقع، غالبًا ما تكون القيم الأخلاقية والاجتماعية التي يتم تبنيها جيدة جدًا. لذا فإن البعد الديني هو العنصر الطبيعي. حسنًا، سنتناول هذا الموضوع في المرة القادمة

.بعض التعليقات على جون ديوي